النشاط التعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان
دار الحديث أنموذجا

بلقاسم محمد
طالب دكتوراه قسم التاريخ جامعة تلمسان
إشراف/ د. أوعامري مصطفى

ملخص

بعد افتتاح مدرسة دار الحديث في شهر سبتمبر 1937، بدأت الدراسة بها في شهر أكتوبر، كان من بين أساتذتها الشيخ البشير الإبراهيمي، محمد مرزوق، ومولاي الحسن البغدادي القادري، والشيخ الهادي السنوسي، فيها قسم للمتفوقين وقسمين آخرين.وكان بها فوج يدرس طول النهار، وهذا الفوج كان للتلاميذ الذين لم يلتحقوا بالمدارس الفرنسية نظرا لرفض آبائهم. وفوج مسائي يدرس من الساعة الرابعة والنصف إلى الساعة السادسة مساءا وكان مخصصا للذين يدرسون بالمدارس الفرنسية، وفوج ليلي به قسمان للكبار والعمال، عرفت مدرسة دار الحديث مجموعة من المضايقات من المستعمر إلا أن هذا لم يكن عائقا في القيام بمهمتها التعليمية والإصلاحية وبعث الهوية الوطنية الجزائرية بمقوماتها العربية الإسلامية، لقد اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمشروع التربوي التعليمي، وذلك ببناء مدارس، ودار الحديث منارة أضاءت درب الشعب الجزائري، بعدما خيم ظلام الجهل عليه.

الكلمات المفتاحية:

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ البشير الإبراهيمي، تلمسان، دار الحديث.

Abstract:

After the opening of the Dar Al-Hadith school in the month of September 1937, the studybegan in October, wasamong the professors Sheikh BashirIbrahimi, Mohammed Marzouk, and Moulay Hassan Qadiri al-Baghdadi, and Sheikh Hadi al-Sanusi, the Department for outstandingstudents and other sections.

It was the regimentstudying all day long and thisregimentwas for studentswho are not enrolled in French schoolsbecause of the rejection of their parents and regimentin eveningtaughtfourth and a halfhours to six in the evening and wasdedicated to thosewho are studying French in school, and the regiment to includeitstwo sections for adults and workers.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Dar Al-Hadith schoolknown set of harassment of the colonizer, but thatthiswas not an obstacle in order to resurrect the Algerian national identityIslamic&Arabic.

Algerian MuslimScholars Association has focused on the educationalproject of education, by building schools, and Dar Al-Hadith ran a beaconlighting up the trail of the Algerian people, tentsafter the darkness of ignorance it.

keywords:

Association of MuslimScholars, Sheikh Bashir Ibrahimi,Tlemcen, Dar Al-Hadith.

تقديم

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من بين الجمعيات التي سعت إلى بعث وترسيخ مقومات الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، وهذا كرد فعل على استراتيجية السياسة الفرنسية الاستعمارية في مجال التعليم والرامية إلى طمس معالم الهوية الجزائرية وأصالة المجتمع الجزائري المسلم.

وقامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمقاومة هذه السياسة بمجموعة من الوسائل، أهمها التعليم، فسعت إلى إنشاء المدارس الحرة عبر القطر الجزائري، واختيار المعلمين الأكفاء للتدريس بها، ومن بين هذه المدارس، مدرسة دار الحديث بتلمسان التي كانت كنموذج لهذه المؤسسات التعليمية الإصلاحية. أحاول في هذه الدراسة التعرض إلى فكرة تأسيس وبناء المدرسة، ثم نشاطها التعليمي والفني.

1- مشروع بناء مدرسة دار الحديث:

كانت لزيارات الشيخ البشير الإبراهيمي إلى تلمسان في أكتوبر 1932 الأثر الكبير في بناء مدرسة دار الحديث بالاشتراك مع الجمعية الدينية الاسلامية[(1)] وخلال الجمعية العامة التي عقدتها يوم 23سبتمبر1934 على الساعة التاسعة صباحا، وبحضور الشيخ البشير الإبراهيمي، تقرر بناء مدرسة دار الحديث[2].

[(1)] تأسست الجمعية الدينية الإسلامية يوم 1سبتمبر1931 وكان يرأسها المحامي عبد السلام طالب، ينظر: خالد مرزوق، والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907-1956، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 187-188.

[2] خالد مرزوق، مصدر نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أجل تجسيد المشروع عمليا يقول السيد محمد شيعلي[1]:إن قطعة الأرض كانت في الأصل دكانا ليهودي اسمه "بن يشو" كان يبيع فيه الحبوب، حيث كانت مساحته 140م[2]، وتم الشراء سنة 1935 ، وعن المشتري فكان عبارة عن قائمة ضمت 171 مشتريا، إن سبب وضع كل هذا العدد من الأسماء كان مرده إلى أن لسكان تلمسان عزيمة جماعية كبيرة في تجسيد مشروع بناء مدرسة يدرس فيها أبناؤهم، وقد ساهم في شراء القطعة ، مختلف الطبقات الاجتماعية حيث لم يتم التفريق بين غني ولا فقير ،كل حسب استطاعته[2]، بل تعدى الأمر هذا حيث وجد من المشترين من هم من غير أهل تلمسان فمنهم من كان من قسنطينة والزبان ولعل أبرزهم الشيخ البشير الابراهيمي[3].

وفي اليوم نفسه، وضع الحجر الأساسي لبناء مدرسة دار الحديث، وكان الشيخ البشير الإبراهيمي المحرك الأساسي لعملية البناء والتمويل، إذ أنه كان دائم الحضور في ميدان البناء للتفقد، ويتابع عن كثب وباهتمام بالغ مراحل إنجاز المشروع.[(4)]

إذن فإن بناء هذه المدرسة كان بمثابة تحد من قبل سكان تلمسان وجمعية العلماء المسلمين للإدارة الفرنسية، وإثباتا لفرنسا أن الأمة الجزائرية قادرة على النهوض وتعليم أبنائها وبناء حضارتها ومستقبلها بنفسها دون مساعدة أي أحد، وظهر ذلك في كون أن دار الحديث كانت أجمل شكلا، وأبهى منظرا، من المدرسة الفرنسية المجاورة لها، كما أن المبادرة التي قام بها سكان مدينة تلمسان في شراء الأرض كانت دليلا على تلك اللحمة الموجودة بين أبناء الأمة الواحدة، للتصدي إلى الطغيان المفروض عليهم في كل مجالات الحياة، فاعتبروا أن التعليم هو من بين المفاتيح التي بمقتضاه يمكن القضاء على هذه الغطرسة المفروضة عليهم ، فكانت فكرة بناء مدرسة ترعى هذا الطموح، لابد منها في ظل تلك الظروف.

2- افتتاح مدرسة دار الحديث:

[1] هو محمد شيعلي ابن الحسين وسكينة بنت مصطفى بن ديمراد، من مواليد شهر ماي 1926، بمدينة تلمسان، درس بالكتاب وتعلم القرآن، كما درس بالمدرسة الفرنسية، وأتقن حرفة النجارة، كان من تلامذة دار الحديث. ينظر خالد مرزوق والمختار بن عامر، مصدر سابق، ص ص497-498.

[2] شهادة محمد شيعلي سبتمبر 2015.

[3] جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950، ترجمة عمر المعراجي، 2007، ص ص 347-348.

[(4)] شهادة محمد شيعلي سبتمبر 2015.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال المؤتمر السنوي العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد سنة 1937 بنادي الترقي في العاصمة، قام الشيخ البشير الإبراهيمي بتوجيه الدعوة إلى أعضاء الجمعية [1]، حيث جاء فيها:"أيها الإخوة الكرام لقد حمّلني إخوانكم التلمسانيون أمانة يجب أن أبلغها إليكم، وهي أنهم يسلمون عليكم ويعاهدونكم على التفاني في خدمة الجمعية ونشر مبادئها ويبشرونكم أنهم شيدوا للإسلام والعروبة معهدا لم يكن له نظير في تاريخ الجزائر الحديث، كما أنهم يتشوقون ويتشرفون أن يكون فتح هذا المعهد أول مرة بيد علامة الجزائر وزعيم نهضتها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهذا المعهد هو دار الحديث المسماة على " دار الحديث الأشرفية "، التي أسست منذ قرون في دمشق، تلك المدرسة التاريخية التي تخرج منها أئمة في العلوم وفحول في الأدب، والتي كان من مدرسيها الإمام الحافظ محي الدين النووي، والإمام النظار تقي الدين السبكي..."[2]. وإذا كان فتح المدارس الحرة قد أعطى الفرصة لأعضاء الجمعية لتنظيم الاحتفالات، فإن تدشين "دار الحديث"يعد الاحتفال الأضخم[3].

دعا الشيخ البشير الإبراهيمي لحضور الاحتفال كل رؤساء الطرق الصوفية في تلمسان، مثل: العشعاشي والشيخ بن عامر في ندرومة...، ولكنهم جميعا قاطعوا الاحتفال بسبب العداوة التي كانت بينهم وبين جمعية العلماء المسلمين، فضلا عن التأييد الذي حظيت به هاته الطرق من طرف السلطات الاستعمارية للقضاء على الحركة الإصلاحية بتلمسان[4].

كما أن أعضاء حزب الشعب الجزائري كانوا يخططون لإحداث اضطراب في الاحتفال بالمدرسة وذلك بالقيام بمظاهرة معادية للشيخ الإبراهيمي، لأنهم كانوا يعتقدون أنه كان معتدلا جدا بالنسبة لقضية مصالي الحاج، لكنهم ألغوا ذلك وقرروا أن يحرسوا موكب الضيوف من محطة القطار إلى دار الحديث "، وذلك بناءا على التعليمات التي جاءت من حزب الشعب من الجزائر العاصمة إلى تلمسان يوم 26 سبتمبر 1937. وفي محطة القطار

---

(1) ابن باديس حياته وآثاره، تح: عمار الطالبي، م2، ج1، ط1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزائر، 1968، ص 561.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 306.

(3) كمال بوشامة، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هومة، 2007، ص204.

(4) أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء...، ج3،المرجع السابق، ص 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الإبراهيمي وعبد الله بوعنان مسؤول حزب الشعب بتلمسان قد أطالا الحديث والتشاور فيما بينهما "[1].

كان يوم 27 سبتمبر 1937 يوما حافلا في تاريخ الجزائر عامة وتلمسان خاصة، حيث توافد الناس من كل القطر الجزائري لحضور مراسيم افتتاح المدرسة، بل تعداه إلى المغرب العربي حيث حضر الحفل ثلاثة أشخاص من تونس وحوالي خمسة عشر شخصا من المغرب الأقصى وعلى رأسهم "الشيخ إبراهيم الكتاني"[2]، وثلاثة من الصحفيين العرب، صحفي من جريدة الأمة، والثاني من جريدة العدالة والثالث من الجزائر[3]،وقدر عدد الحاضرين بحوالي ثلاثة آلاف شخص، منهم سبع مائة من خارج المدينة والبقية من أهالي تلمسان. وكان الشيخ محمد مرزوق على رأس اللجنة الثقافية والاجتماعية، وتكفل بمراسيم حفل الافتتاح واستقبال الشخصيات والمدعوين، ومن أبرزهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي وصل على الساعة العاشرة والنصف إلى محطة القطار، وكان مرفوقا بوفد رسمي من العلماء، واستقبل بحفاوة كبيرة تليق بمقامه من قبل الشيخ البشير الإبراهيمي ورفقائه من رجال الإصلاح بتلمسان والمستشارين البلديين، ومشى أعضاء الوفد راجلين متتبعين الطريق الذي رسم لهم من محطة القطار إلى باب سيدي بومدين الجزء الشرقي من الشارع الوطني المعروف بشارع العقيد لطفي الآن، حتى مدرسة دار الحديث[4].

كانت مجموعة من فرقة الكشافة الإسلامية بتلمسان تقف عن يمين ويسار باب مدرسة دار الحديث يرحبون بالضيوف، وهم ينشدون نشيد:"مرحبا أهلا وسهلا بكم "، وقد تقدم أربعة من تلامذة مدرسة دريبةزرار، بباقات من الزهور وقدموها لكبار الشيوخ القادمين ضمن الوفد وهم: الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ الطيب العقبي، محمد خير الدين،

---

[1] نفسه، ص69.

[2] الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني: ولد يوم الجمعة 10 رمضان 1325 الموافق لـ 19 أكتوبر 1907 بمدينة فاس ، كان له الفضل الكبير في ربط الحركة الوطنية المغربية بالحركة الوطنية الجزائرية، حيث أنه حضر مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين الرابع بتلمسان سنة 1935، وتعرف على الشيخ الإبراهيمي، ونظرا لمواجهة الاستعمار الفرنسي من أجل أن يسترجع المغرب حريته اعتقل سنة 1952، ثم أطلق سراحه في سنة 1955، توفي سنة 1990، ينظر محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، ج3، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2000، ص ص 1210-1221.

[3] الشيخ محمد خير الدين ، مذكرات، ج1، المصدر السابق، ص 182.

[4] شهادة خالد مرزوق، أكتوبر 2015.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشيخ العربي التبسي، كما كان في استقبال الضيوف الشيخ محمد مرزوق، وصور المسيرة شابان من تلمسان، من محطة القطار إلى باب المدرسة وهما: الغوثي بجاوي، ومحمد قوار، وأخذت صورة تذكارية للوفد أمام باب المدرسة، العلماء في الصف الأول والجمهور في الصفوف الأخرى[1].

كما تلاحقت الوفود وتجمعت أمام مبنى المدرسة، وفي هذا المشهد العظيم وقف الشيخ البشير الإبراهيمي بباب المدرسة يخاطب الرئيس عبد الحميد بن باديس – وهو يناوله المفتاح – بهذه الكلمات البليغة: " أخي الأستاذ الرئيس: لو علمت في القطر الجزائري بل في العالم الإسلامي رجلا له يد على العلم مثل يدكم، وفضل على الناشئة مثل فضلكم لآثرته دونكم بفتح هذه المدرسة، ولكني لم أجد،...، فباسم تلمسان، وباسم الجمعية الدينية بالخصوص، أُنَاوِلُكُم المفتاح، فلهذه المدرسة أن تتشرف بذلك ..."وتناول الأستاذ ابن باديس المفتاح ودعا الله عز وجل فقال : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، على اسم الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة أفتح مدرسة دار الحديث، رب أنزلنا منزلا مباركا و أنت خير المنزلين ربنا أدخلنا مدخل صدق و أخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا "[2].

وبعد إلقاء الشيخ ابن باديس هذا الخطاب المؤثر، قام بفتح الباب ودخل خلفه العلماء والضيوف، وبقي أهالي تلمسان خارج المدرسة، حيث كانوا يهتفون" ابن باديس ، ابن باديس، نريد أن نرى ونسمع ابن باديس "، فأطل عليهم هو والشيخ البشير الإبراهيمي وبقية العلماء من الشرفة في الطابق الأول[3] وخاطبهم قائلا: " يا أبناء تلمسان، يا أبناء الجزائر، إن العروبة من عهد تبع إلى اليوم تحييكم، وإن أجيال الجزائر من هذا اليوم إلى يوم القيامة تشكركم وتثني عليكم وتذكر صنيعكم بالجميل، يا أبناء تلمسان كانت عندكم أمانة من تاريخنا المجيد فأديتموها فنعم الأمناء أنتم فجزاكم الله جزاء الأمناء والسلام عليكم ورحمة الله "[4].

ثم عاد العلماء إلى المدرسة، وفي قاعة المحاضرات اعتلى ابن باديس وصحبه المنصة، وتكلم الشيخ البشير الإبراهيمي فقال: " الفضل في إنشاء هذه المدرسة لا يرجع لأحد غير

---

[1] نفسه، ص 183.

[2] شهادة محمد شيعلي سبتمبر 2015.

[3] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج6، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر، 1994، ص 164.

[4] شهادة محمد شيعلي سبتمبر 2015..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جمعية العلماء، فكل فضل لهذا العاجز الضعيف هو قطرة من بحر فضل جمعية العلماء "، ثم أخبر الشيخ الإبراهيمي الحاضرين بأن الرئيس ابن باديس سيفتتح الكلام في دار الحديث بدرس قيم يلقيه عليهم الآن في الحديث النبوي الشريف[1].

وعند منتصف النهار وصلت ثلاث حافلات من البلدية تحمل حوالي 90 شخصا. وتناول الضيوف الغذاء عند بعض الأعيان أمثال جلول حاج سليمان، العربي بن ديمراد، ابن سليمان منصوري، وابن قلفاط...الخ[2].

وحوالي الرابعة مساءا استكمل النشاط، فتناول الكلمة طالب عبد السلام النائب المالي، فرحب بالحاضرين وشكرهم وتمنى أن توافق الإدارة الفرنسية على فتح المدرسة، وجاء بعده الشيخ البشير الإبراهيمي، فألقى كلمته، وقال أن المدرسة ستنتصر إذا ما صادفتنا عراقيل فستتغلب عليها، وقد لام الشيخ الإبراهيمي السلطات الفرنسية في الجزائر والمغرب على منع المدعوين المغاربة من حضور الاحتفال[3].

وعند الساعة التاسعة ليلا ألقى الشيخ مبارك الميلي درسا شرح فيه حديث : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "، وألقى الشيخ العربي التبسي درسا كذلك في قوله تعالى : " ولا يحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم "[4].

وقد ألقى الشاعر الجزائري " محمد العيد آل خليفة " قصيدة في دار الحديث، جاء فيها:

لَقَد بُعِثَ (البَشِيرُ) لَهَا بَشِيرًا ***** بِمَجدِ كالرِّكَازِ بِهَا يُثَارُ
و فِي (دَارِ الحَدِيثِ) لهُ صُوانٌ ***** بَدِيعُ الصَّنعِ مَصقُولٌ مُنارُ
بِه عَرَضَ البشير فُنُونَ عِلمٍ ***** وآداب لِيَجْلُوهَا الصِّغَارُ
فيَا دَارَ الحَدِيثِ عِمِي نَهَارًا ***** وعُمْرُك كُلُّه أَبَدًا نَهَارُ
ويَا دَارَ الحَدِيث عَلَيْكِ تُلْقَى ***** مُهِمَّات لَنا ومُنَى كِبَارُ
وفي بَلدِ الجِدارِ كُنُوزُ دِينٍ ***** وعِلْمٌ لا يَلِيقُ بِهَا ادِّخارُ
تلمسان ابْتغي أَبَدًا مَدَارًا ***** فَأُختُكِ فِي السَّمَاءِ لَهَا مَدَارُ[5]

[1] شهادة خالد مرزوق ، أكتوبر 2015.
[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء...،ج3، المرجع السابق، ص 69.
[3] نفسه، ص 70.
[4] الآية 188 من سورة آل عمران .
[5] شعراء الجزائر ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي اليوم الثاني ألقى الشيخ الفضيل الورتلاني[1] خطابا حماسيا طويلا تعرض فيه إلى الحركة العلمية، التي تقوم بها جمعية العلماء المسلمين في الجزائر و في فرنسا[2].

أما في اليوم الثالث فألقى الأساتذة والشيوخ دروسا ومواعظ وخطبا حماسية في أماكن حرة مختلفة بالمدينة كالمدرسة، نادي السعادة، نادي الشبيبة والنادي الإسلامي. ويذكر الشيخ خالد مرزوق أن من بين أهالي تلمسان الذين تكلموا:" السيد عبد السلام طالب رئيس الجمعية الدينية، وابن على أبي عياد من تلاميذ الشيخ البشير الإبراهيمي ومن رجال الحركة الإصلاحية بتلمسان"[3].

و يقول الصحفي " عبد الرحمن غريب" في محاضرته الموسومة بدور الشيخ الإبراهيمي في انتشار المدارس الحرة التي ألقاها بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس دار الحديث في سبتمبر 1987 بتلمسان: " ... و لإعطائكم فكرة عن الجو السائد في تلك الأيام و موقف الإدارة الفرنسية من التعليم العربي الإسلامي ، أقص عليكم أنني أيام تدشين مدرسة دار الحديث كنت في الغربة و كنت أتابع أخبار الوطن عن طريق الجرائد الفرنسية الصادرة بالجزائر، كان لي أحد الرفقاء ممن يحسنون اللغة الفرنسية يقرأ لنا الأخبار المحلية و ما تذكره عن كل بلد، و أسمعني ملخص الاحتفال بتدشين مدرسة دار الحديث، و كان كاتب المقال يدعى " جاك قونزاليس" – إن لم تخني الذاكرة- و مما قاله هذا المراسل في وصفه للحفل قوله: " إن جماعة العلماء (حسب تعبيره) يقومون بحركة مريبة في الأوساط الشعبية الأهلية، لقد كان احتفال هذه الجماعة بمدرستهم في تلمسان احتفالا له مغزاه الخطير، لقد سمعنا أن الجمعية جندت أنصارها من كل النواحي كما علمنا أن بعض الجزائريين ممن يسكنون بوجدة المغربية حضروا احتفالهم، و انتشر بينهم بعض المغاربة ممن ينتسبون للحركات المعادية لفرنسا... و يكفيكم دليلا عن هذا أن أحد أعوان الشرطة من المخابرات

---

[1] الشيخ فضيل الورتلاني: ولد يوم 06 فبراير 1900 في بلدية بني ورتلان ، ولاية سطيف ، انتقل إلى قسنطينة سنة 1930 لإتمام تعليمه، وفي سنة 1934 كلف مساعدا للشيخ ابن باديس ، ثم عين ممثلا للجمعية بفرنسا سنة 1936، وبعد ذلك أسس مكتبا بالقاهرة لجمعية العلماء المسلمين سنة 1949، كما ساهم بقلمه في الثورة التحريرية ، حتى توفي في أنقرة يوم 12 مارس 1959. ينظر الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر ،ص ص،30-41 .

[2] احمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1987، ص ص 687-690.

[3] شهادة خالد مرزوق، أكتوبر 2015.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العامة الفرنسية كتب في تقريره المقدم للنائب العام يقول: " إن حفل تدشين مدرسة درا الحديث أعطتنا صورة لما يدبر في الخفاء من تنظيمات سرية قد تكون عواقبها وَخيمة، و إن البوليس الفرنسي كان يفزع لأقل حركة و قديما قال الشعب في أمثاله "الخائن شكاك و الأجرب حكاك"[1].

3- التعليم بمدرسة دار الحديث:

سعت جمعية العلماء المسلمين إلى تغيير أسلوب التعليم القديم من تلقين للقرآن والحديث إلى الوعظ ونشر العبر، وكذلك سير الصحابة وهديهم، أما في مجال التعليم المدرسي، فيعد أسلوبها في تلقين العربية هو أحد مفاخرها، فهي تعهد إلى الأساتذة في تعليم التلاميذ أبسط القواعد في أسهل التراكيب، ثم تمكنهم منها بتمرينات تطبيقية. " ويدخل في باب التعليم المدرسي قراءة القرآن الكريم فهو سلاحها الذي به تناضل، وكان القرآن أساس مبدئها الإصلاحي[2]، وعن تعليم القرآن تذكر إحدى تلميذات دار الحديث وهي" آيت سالم عائشة" أنهم كانوا يتعلمون معاني القرآن فتقول في هذا الشأن: " كنا نحفظ القرآن بالمساجد، لكننا لم نكن نعلم معانيه، وبعدما التحقت بالمدرسة أين كان المعلم يفسر لنا القرآن، أصبحت أعرف معناه"[3]، كما اهتمت جمعية العلماء المسلمين بتعليم الأميّين من الكبار، وهو من أهم فروع التعليم في نظر الجمعية. وأما المحاضرات التهذيبية فأسلوبها يرتكز على الخطابات المؤثرة في العقول"[4].

أما الدروس الأخرى فإن الجمعية تختار لها من الكتب ما هو أقرب إلى الاستفادة وأسهل للفهم، فهي تتجنب الكتب المعقدة، وتقوم بإرشاد تلامذتها وجميع أعضائها إلى كيفية الاطلاع على الكتب وطرق البحث في التاريخ، الاجتماع ، والأدب، ...[5].

لقد سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى نشر العلم بين أبناء الجزائر، ووضعت أسس تعليم عربي إسلامي[1]، وتجسيدا لهذا المبدأ كانت الدعوة من جمعية العلماء المسلمين

---

[1] خالد مرزوق، المختار بن عامر، المصدر السابق، ص135.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر، 1935، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، ص ص 57- 59.

[3] ايت سالم عائشة، نوفمبر2015.

[4] محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية...، ص ص 57- 59.

[5] نفسه، ص60

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأهل تلمسان يوم إفتتاح دار الحديث لتسجيل أبنائهم في المدرسة ، فبعدما حرموا من الثقافة العربية الإسلامية لمدة طويلة، كانت الفرصة في دار الحديث ليتعلموا لغتهم و دينهم و تاريخهم[2].

و بعد افتتاح المدرسة يوم 27 سبتمبر 1937م بدأت الدراسة بها في شهر أكتوبر مثل بقية المدارس الفرنسية ، إلا أن الإدارة الاستعمارية قامت بإغلاقها في ديسمبر من نفس السنة[3]، و كان المدرسون الأوائل بمدرسة دار الحديث هم: الشيخ البشير الإبراهيمي ، الشيخ محمد مرزوق، الشيخ مولاي الحسن البغدادي القادري، الشيخ الهادي السنوسي، الأستاذ محمد بابا احمد[4]، ويذكر أحد تلامذة دار الحديث عن نظام التدريس بها ، وهو محمد بن عقيلة أن التعليم كان مقسما إلى ثلاثة أفواج:

الفوج الأول يدرس فترتين، فترة صباحية تمتد من الساعة الثامنة إلى الساعة الحادية عشر، والفترة المسائية من الساعة الواحد إلى الساعة الرابعة، أما الفوجان الثاني والثالث فيدرسان من الساعة الرابعة والنصف مساء إلى الساعة السادسة مساء ، ويذكر خالد سلكة عن التوقيت فيقول:" كنا ندرس من الساعة الخامسة إلى الساعة السادسة، ونبقى في المدرسة من الساعة السادسة إلى الساعة السابعة ندرس مع آبائنا، وكنت اجلس مع أبي في الطاولة نتعلم على السواء[5].

أما الفترة ما بين صلاتي المغرب والعشاء، فكان هناك فوجا ليليا به قسمان للكبار وللعمال، القسم الأول يدرسه الشيخ محمد مرزوق ،والقسم الثاني يدرسه الشيخ مولاي الحسن البغدادي[6].

---

(1) مجلة الشهاب،ج10، مج8، اكتوبر1932، ص531.

(2) جيلالي صاري، تلمسان والنخبة التلمسانية ذات الامتداد الوطني، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة، 2007، ص34.

(3) تركي رابح عمامرة، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1975، ص177.

(4) شهادة محمد شيعلي.

(5) شهادة خالد سلكة، ديسمبر2015.

(6) خالد مرزوق ،وبن عامر ، مسيرة الحركة الإصلاحية...، مصدر سابق، ص.358

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر محمد البغدادلي أحد تلاميذ دار الحديث،بعض الأساتذة الذين درسوا فيها ومنهم بابا أحمد محمد، مولاي الحسان البغدادي، وعبد الوهاب ين منصور، محمد الصالح رمضان،مختار الصبان، الشاوي بودغن، وكانوا يدرّسون اللغة العربية والتربية الإسلامية ،ومادة التاريخ إلا أنه تم نزع الدفاتر الخاصة بمادة التاريخ من التلاميذ، حيث اعتبروا تدريس التاريخ الخاص بالجزائر ينمي في التلاميذ الروح الوطنية، ويعرفهم بأصلهم[1].

اغتاظت فرنسا من الشيخ البشير الإبراهيمي، لأنه أحيا ما أماتته من دين ولغة وعلم، ووحد ما فرقته من صفوف، ونزع من الصدور ما زرعته من خوف، فأمر الوالي العام الفرنسي بغلق مدرسة دار الحديث يوم 31 ديسمبر 1937م، وتحدى الشيخ الإبراهيمي المستعمر ورفض التوقيع على محضر الأمر بغلق المدرسة واستمر في نشاطه، وقدم للمحاكمة بتلمسان يوم 27جوان 1938م[2]، وقضت المحكمة عليه بغرامة مالية[3].

مع دخول فرنسا الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939، ومع تطور أحداث الحرب، دعت السلطات الاستعمارية أعضاء جمعية العلماء المسلمين إلى التعاون معها، وعلى رأسهم الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، إلا أن هذه الدعوة قوبلت بالرفض، فكان رد فعل المستعمر إلا أن أمر بتوقيف دروس الشيخ البشير الابراهيمي ومحاضراته بدار الحديث وطرد الطلبة منها، وعلى هذا تقرر نفي الشيخ البشير الابراهيمي إلى مدينة آفلو في 10أفريل 1940 حيث أغلقت مدرسة دار الحديث. ورغم كل هذه المضايقات إلا أن النشاط بقي موجودا بالمدرسة ، فأثناء صلاة الجمعة كان الإمامان " رحموني مولاي" وخاصة " بوعياد بن علي ولد حاج أحمد" يفسران الآيات القرآنية بطريقة "مغرضة" حسب مصالح الاستعلامات الفرنسية[4].والقيام بدعاية مضادة للإدارة الاستعمارية.

أعيد فتح المدرسة سنة 1943م، أطلق سراح الشيخ البشير الإبراهيمي في 28 ديسمبر 1943[5]. وفي الفترة الممتدة بين 1943و1946 تم فتح قسم خاص يدرسه الشيخ البشير

[1] شهادة محمد البغدادلي، ديسمبر2015.

[2] احمد طالب الابراهيمي، آثار الامام الابراهيمي، مصدر سابق ج1، ص36.

[3] جريدة الشهاب، ج8، مجلد 14، اكتوبر1938.

[4] مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية ، دار القدس العربي، 2013، ص82.

[5]) نفسه، ص ص : 149 – 150.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإبراهيمي بعد صلاة المغرب، وكانت تدرس به المواد التالية: تفسير القرآن، الحديث الشريف، اللغة العربية، التاريخ والجغرافيا، الفقه، الشعر، البيان، العروض، وكان هذا القسم ذو مستوى عال [1].

أما في مسألة تعيين المعلمين، وتقدير درجاتهم و تحديد مرتّباتهم إلى غير ذلك، فتعود إلى اللجنة المخصصة من طرف جمعية العلماء المسلمين و مهمتها النظر في جميع هذه الأمور وحلها، وبالتالي تقوم بإعلان أسماء شيوخ المدارس في جريدة البصائر، ففي13 أكتوبر 1947 كان توزيع المعلمين من غير مراعاة الدرجات في مدرسة دار الحديث كالتالي:محمد الصالح رمضان، محمد بابا أحمد، أحمد الشاوي، عبد الله أبو عنان، المختار الصبان، محمد ملوكة، مصطفى بن ثابت، عبد المجيد مزيان([2]).

أما في المسجد فكان:الجيلالي حجاج، عبد الوهاب بن منصور ، و فيما يخص الامتحانات فإن جمعية العلماء المسلمين كانت تقوم بإعلانها في جريدة البصائر و تعميمها على كل مدارسها ليكون التنظيم محكم من خلال منشور عام يوزعه رئيس الجمعية قبل الامتحان على جميع المديرين والمعلمين و كمثال للامتحانات السنوية نذكر امتحان 1947: " بدأت الامتحانات في يوم واحد وهو يوم 25 جوان و انتهت في يوم واحد و هو يوم 12 جويلية، ثم كان يوم 13 منه يوم احتفال بتوزيع الجوائز على الناجحين من تلاميذنا...، جرت الامتحانات في أكثر من مائة مدرسة بإشراف مديرها و مباشرة معلمها... و كانت نتيجة الامتحانات في جميع المدارس نجاحا باهرا و دلت على أن معلمي الجمعية كانوا يعلمون و يؤدون الواجب بأمانة رغما عن الاحتلال..."([3]).

قامت جمعية العلماء المسلمين لأول مرة عام 1952م بأحداث شهادة التعليم الابتدائي العربي[4]، وجرى الامتحان في السنة الدراسية 1951-1952، وذلك يوم 01 سبتمبر 1952، في المراكز الثلاث: معهد بن باديس بقسنطينة، مركز جمعية العلماء بالجزائر العاصمة، ودار

---

(1) خالد مرزوق ،وبن عامر ، مسيرة الحركة الاصلاحية...، مصدر سابق، ص359.

(2) الشيخ البشير الإبراهيمي، أعمال جمعية العلماء المسلمين، البصائر، العدد 10، يوم الاثنين 27 ذو القعدة 1366هـ/ 13 أكتوبر 1947، ص07.

(3) الشيخ البشير الإبراهيمي، الامتحانات السنوية في مدارس الجمعية، البصائر، العدد43، الجمعة 13 شوال 1366هـ / 29 أوت 1947، ص 04.

(4) جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2003، ص173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحديث بتلمسان، وكان عدد المترشحين من تلمسان حوالي 88مترشح، 71من تلمسان ، 13من ندرومة ، 3من الحناية، ومترشحة من بني صاف، وأسفرت النتائج عن فوز 35من تلمسان ، 5من ندرومة، 3من الحناية[1].

واصلت دار الحديث المشوار الى غاية 25ماي 1956م حيث حوّلت الإدارة الفرنسية دار الحديث إلى ثكنة عسكرية بأمر من عامل عمالة وهران ، كما أمرت بحجز كل ممتلكات الجمعية، وألقي القبض على رجالها، وجعلت دار الحديث مقرا للتعذيب[2].

لقد كان لمدرسة دار الحديث دورا فعالا في تعليم أبناء الجزائر الذين التحقوا فيما بعد بالثورة التحريرية، وهذه ترجمة لبعض تلامذة دار الحديث ممن استشهدوا في سبيل الوطن:

بودغن بن علي (العقيد لطفي):

هو ادغين بن علي وعرف كذلك باسم بن علي بودغن، اسمه الثوري العقيد لطفي، ولد بتلمسان في حي القلعة العليا أحد الأحياء العريقة من المدينة وسط محيط محافظ ومتصوف يوم 05 ماي من سنة 1934،التحق بالثورة بتاريخ 17 أكتوبر 1955 في قرية بني سنوس (نواحي تلمسان) عن طريق بعض المواطنين بعد أن اتخذ قرارا صعبا يقضي بهجرة مقاعد الدراسة وهو الأمر الذي بينه في رسالة موجهة إلى والديه يشرح فيها خطوته[3]، وكان من تلاميذ دار الحديث استشهد بتاريخ27 مارس1960 بالساورة ببشار[4].

ديب منير:

من مواليد 12 فيفري 1929م بتلمسان ابن العربي وسكينة بوعلي، تتلمذ بدار الحديث، التحق بالثورة التحريرية، فكان قائدا في جيش التحرير الوطني، ثم محافظ سياسي سنة 1956، استشهد يوم 23 فيفري 1959م بسبدو[5].

مليحة حميدو:

---

(1) جريدة البصائر، العدد 202، 29سبتمبر 1952، ص1.

(2) خالد مرزوق ،وبن عامر ، مسيرة الحركة الاصلاحية...، مصدر سابق، ص225.

[3] عبد المجيد بوجلة ، **العقيد لطفي ودوره الثوري في الولاية الخامسة1934-1960**، مجلة المصادر، العدد 14، السداسي الثاني2006، ص112.

[4] خالد مرزوق ، المصدر السابق، ص 226.

[5] Khaled Marzouk, **Biographies des martyrs de la révolution de Novembre 1954 de la Wilaya de Tlemcen**, p 179.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولدت مليحة حميدو يوم 06 أفريل 1942م، واسمها الحقيقي جنات حميدو، تلقت تعليمها الابتدائي بدار الحديث بين 1952م-1954م، التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني، وكلفت بالتنظيم النسائي، ، استشهدت يوم 28 فيفري 1959م بعدما ألقى المستعمر القبض عليها[1].

حاج سليمان عويشة:

من مواليد 05 مارس 1940م بتلمسان، بنت غوتي وبن عصمان فاطمة، تلميذة بدار الحديث، التحقت بالمدرسة الإسلامية الفرنسيةبالجزائر العاصمة، شاركت في إضراب الطلبة 1956م، التحقت بالثورة بجبال مغنية، وكانت مهمتها معالجة الجرحى. علم الجيش الفرنسي بوجودها مع الفدائيين، فاستشهدت بعد مواجهة مع المستعمر[2].

قارة تركي رشيد رضا:

من مواليد 6 جانفي 1936م بتلمسان، ابن الغوتي ودالي يوسف فاطمة، تتلمذ بدار الحديث، التحق بالمجاهدين في شهر جوان 1956م، وبعد عدة معارك ألقي القبض عليه في مارس 1957، وذاق كل أنواع العذاب، وأطلق سراحه فيما بعد، والتحق من جديد بصفوف المجاهدين في شهر نوفمبر 1960م، وشارك في هجوم بمدينة سبدو مع الرائد لشار رضوان يوم 28 أكتوبر 1961، ووقع شهيدا على إثره، ودفن هناك لمع اثنين من إخوانه[3].

كاهية ثاني محمد الكبير:

من مواليد 26 نوفمبر 1930م بتلمسان، ابن محمد (الملقب حمدان) وكازي ثاني رشيدة، تتلمذ بدار الحديث، انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1955م في منطقة الخميس من أبيه وإخوته الاثنين، أسس مصلحة للعلاج، وكون عدة ممرضين للقطاع الصحي لجيش التحرير الوطني في هذه المنطقة، استشهد يوم 26 ديسمبر 1956م على إثر هجوم جوي بـ "جبل عربي" في منطقة الخميس بتلمسان[4].

هذه ترجمة لبعض من استشهدوا في الثورة التحريرية وكانوا من تلاميذ دار الحديث والقائمة طويلة.

---

[1] خالد مرزوق، مجموعة من شهداء الثورة نوفمبر 1954 المباركة لولاية تلمسان، د ت، ص 337.

[2] نفسه، ص 336.

[3] نفسه، 233.

[4] نفسه، 234.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- النشاط المسرحي بدار الحديث:

كان تلامذة دار الحديث يقدمون أنشطة ثقافية عامة مثل التمثيليات التي تجسد حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و رسالته الشاملة، يقرؤون الشعر العربي، ينشدون الأناشيد الدينية والوطنية بمناسبة الأعياد الدينية كالمولد النبوي الشريف و مناسبات أخرى خلال السنة الدراسية، ذلك راجع لتأثر هؤلاء التلاميذ بالشيخ البشير الإبراهيمي و إسهاماته في اللغة و الأدب العربي، حيث كان هذا الأخير يكتب المقالات الأدبية و يقوم بنشرها في جريدة البصائر، إضافة إلى القصص و الروايات التي كانت تنشر في الجريدة مثل: غادة أم القرى، حمار الحكيم...[1].

كما أنه برز النشاط المسرحي بدار الحديث مع بداية الأربعينات." و كان مؤسسه و مديره محمد دالي يوسف"، و من بين أعضائه الممثلين: المختار بابا أحمد ، بومدين بوعلو ، مصطفى الشاوي بودغن (أخ المعلم أحمد الشاوي بودغن)، محمد حدادي، محمد صوفي، محمد الأمين مرزوق، محمد بابا أحمد و غيرهم"[2]، و كان هؤلاء التلاميذ ينشطون أيضا في جمعية أحباب الكتاب، ويقومون بروايات اجتماعية و ثقافية لها معاني سياسية و من الروايات التي مثلوها رواية " حنبعل " التي كتب روايتها السيد محمد دالي يوسف. و قد أسس محمد بابا أحمد و هو أحد تلامذة دار الحديث مسرحا مستقلا سماه " مسرح الكوكب التلمساني "، و كان له صدى كبير في تلمسان وخارجها كمدينة معسكر، سيدي بلباس، مستغانم و غيرها من مدن عمالة وهران[3].

و كان يردد في قاعة المسرح في المناسبات كالأعياد و المولد في سنة 1946 و ما بعدها هذا النشيد:

لُغَةُ الأَمْجَادِ مُنذُ يَعْرُبِ لُغَتِي

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1998، ص 82.

[2] شهادة خالد سلكة، ديسمبر2015.

[3] محمد الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص246.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَ لِسَانُ الحَقِّ مِن عَهْدِ النَّبِي لُغَتِي
مَجْدُهَا مَجْدِي و تَارِيخُ أَبِي لُغَتِي
لُغَتِي ، دِينِي ، وَطَنِي لُغَتِي

زار عميد المسرح العربي " يوسف وهبي" الجزائر، فرحب به الجزائريون واحتفلت تلمسان بالوفد فقام محمد الصالح رمضان بقراءة قصيدة يرحب بها بالضيوف"([1]).

ويذكر محمد شيعلي عن المسرح قائلا:"كان يشترك فيها جميع أهل تلمسان، وكنا نشارك في التمثيل حيث كانت المسرحية مستوحاة من بطولات المسلمين، حيث كانت تجسد شخصيات إسلامية كانت لها بطولات في الماضي مثل بطولات الفاتحين المسلمين، ومن التلاميذ الذين كانوا يمثلون محمد الحدادي الذي كان ينشد، ومن المسرحيات رواية بعلبك، فكان المبتغى من هذه المسرحيات ربط الماضي بالحاضر" ([2])، كما يذكر خالد سلكة عن المسرحيات التي مثلوها، مسرحية جسدت شخصية الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب، ومسرحيات أخرى كانوا يمثلونها مقتبسة من الروايات، حيث كانوا يشترون الكتب ويتدربون على أدائها في قابل مسرحي تؤخذ منه العبر[3]، هكذا كانت جمعية العلماء المسلمين توظف المسرح من أجل القضية الجزائرية، ولبعث الهوية الإسلامية العربية في تلاميذها.

الخاتمة

إن النشاط الثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان اعتمد على نشر الوعي الديني والثقافي لدى الشعب ا لجزائري ،ومحاربة الجهل، البدع والخرافات عن طريق تنوير العقول بالدعوة إلى العلم وبناء المدارس والمعاهد، حيث وضع الشيخ البشير الإبراهيمي ورجال الإصلاح من رفاقه نظاما تعليميا لجمعية العلماء المسلمين وعمل على تطبيقه في مدارس الجمعية منها مدرسة دار الحديث، فعين مجموعة من المدرسين الذين لهم مكانة ثقافية وعلمية عريقة بتلمسان، ويحضون باحترام الناس نظرا لغزارة علمهم وسعة معرفتهم، كما كان للمواد التي يدرسونها الأثر في ترسيخ مقومات الشخصية العربية الإسلامية، فكانت النتيجة تكوين نخب جزائرية مثقفة ثقافة عربية إسلامية مزجتها بمعرفة بالثقافة الفرنسية، حيث ساهموا في الثورة التحريرية.وبعد الاستقلال ساهموا في نشر العلم

[1] نفسه، ص 246.

[2] شهادة محمد شيعلي سبتمبر 2015.

[3] شهادة خالد سلكة، ديسمبر2015.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعرفة. كما عرفت دار الحديث نشاط مسرحي، حيث أقيمت مجموعة من المسرحيات التي مثلت فيها مقاطع من التاريخ الإسلامي، فبعثت الروح الإسلامية والشخصية العربية.وهكذا كانت مدرسة دارا لحديث بتلمسان مركز إشعاع للحركة الإصلاحية بالقطاع الوهراني بصفة خاصة وبالقطر الجزائري بصفة عامة. .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com